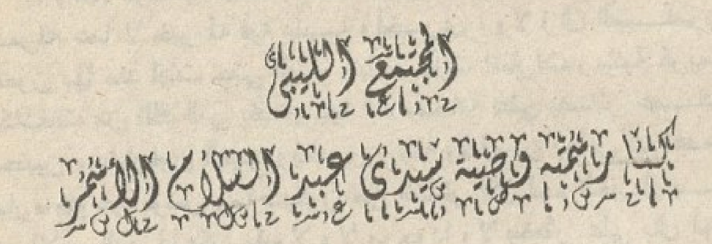
(المجتمع الليبي كما رسمته وصية سيدي عبد السلام الأسمر)

مبحث مستدل من كتاب (مجالس الفقراء) للعلامة الشيخ أحمد القطعاني، مكتبة مكناس، طرابلس، ط1، 2000م



أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

صدق الله العظيم





سيدى عبد السلام الأسمر (ولد 881هـ ـ ت 981 هـ)
من أهم أعلام ليبيا العلمية والصوفية ، والطريقة العروسية ما كانت لتنتشر وتبقى حتى اليوم لولا جهوده ودعوته الى الله تعالى فى ذلك الزمن العصيب الذى أتت ظروفه كالحة السواد على الأخضر واليابس حيث انعدام الأمن وحر الاقتتال وسيادة العثمانيين بما تخللها من غشم وجور وشح موارد القوت وضنك العيش .

وله ؓ اسلوب يتميز بالبساطة واليسر فى مخاطبة المريدين والمسلمين عموما اذ لم يكن المستوى الثقافى والتحصيل العلمى عند من يخاطبهم بل فى جل البلاد بالمستطيع استيعاب أكثر من ذلك .

وباستثناء أحزابه وبعض قصائده فجل كلامه باللسان الميسور البسيط ، ومنه وصاياه التى حظيت باهتمام معاصريه ومن جاء بعدهم فنسخت باليد وانتشرت داخل ليبيا وخارجها ، ثم طبعت ونشرت بعد ، ولم تحظ مع هذا بدراسة علمية جديرة بها أو تحقيق علمى حتى اليوم .

وهذه الوصايا جامعة مانعة تربى المريد وتهذب طباعه وتصرفه عما لا خير له فيه دنيا وأخرى ، ولا زال المسلمون ينتفعون بها منذ قيلت حتى اليوم ، بل وحوت اشارات ربانية كريمة ومكاشفات من تلك التى يفيض بها الله سبحانه على بصائر عباده المجتبين ، يشارفون الغيب ويخبرون عنه ولعل من بعض شواهدها اخباره ؓ عن تونس وما سيكون من انتشار أكل لحم الخيل بها وهو الأمر الذى لم يكن مقبولا ولا موجودا ولا يخطر على بال أحد وقتها ، ولا يكاد يخلو من محلات جزارتها حى من أحيائها اليوم <u>يأتي زمان على أهل تونس وسواحلها الي أن يأكلوا الخيل والبغال والحميرا</u> .

ان الولى بكل خير يعرف	حيا وميتا فى الورى يتصرف
البعض خالف فيه بعد مماته	وأتى بقول باطل لاينصف
فاضرب جميع المنكرين وصف لهم	ما قلته فلعلهم أن يتكففوا
روح الولى كصارم فى غمده	فاذا تجرد كان لا يتوقف

أقول : طالما وجدت بين سطور وصية سيدى عبد السلام الأسمر ؓ وفى ثنايا كلاماتها وطيات ألفاظها صورة نابضة حية لما كان عليه مجتمعنا الليبى خصوصا فى غربه ابان القرن العاشر اذ فرغ ؓ من املائها على ما ذكر كاتبه الشيخ محمد بن ابراهيم بن عطيه الملقب ميلاد أواسط شهر رمضان 972 هـ ، فأحببت أن أستخلص هذه الصورة عن الوصية وأجلوها للناظرين وأضعها فى اطارها المناسب ليرى الخلف من خلالها ما كان عليه أسلافهم ، ورأيت ألا تخلو مجالس الفقراء من النظر الى هذه الأبعاد التاريخية فى كلام أولياء الله تعالى ، كما أتيقن أن تنفع هذه الدراسة الباحث والدارس من ورائهم .

وهناك سلبيات وايجابيات كثيرة أوصى الشيخ فى وصيته هذه بفعلها أو تركها كأداب الاسلام ومكارم الأخلاق والكذب والغش والتقاليد الانسانية العامة ، ولن تكن موضوعنا اذ لا يخلو منها مجتمع فى الدنيا ، وانما نقتصر على التقاط خصائص مجتمعنا الليبى تلك الأونة .

كذلك فلن نلتزم بترتيب المواضيع المذكور فى الوصية قدر التزامنا بوحدة الموضوع ، مكتفين بخط أسفل السطر يميز كلامه ؓ عن غيره ، وعلى من أراد التوسع الرجوع الى الوصية وهى موجودة ومطبوعة .

القرآن الكريم واللغة :

كان مصحف المسلم الخاص به يسمى النسخة <u>فان لم تحفظوه فاقرءوه من النسخة</u> ، ويعانى اللسان الليبى مشكلة توحد مخرجى حرفى الضاد والظاء ، وهى مشكلة لا زلنا نعانى منها الى اليوم ، وكثيرا ما أسهب معلمو القرآن الكريم فى عصرنا فى بيان

الفرق بينهما لتلاميذهم ، ويبدو أن لهذا الخلل جذورا قديمة اذ جاء فى الوصية التنبيه على التفريق بين الضاد والظاء .

أسماء ومراجع علمية :

هناك أعلام فرضت أهميتها باسهاماتها العلمية الكبيرة الهامة على ساحات العلم والعلماء وكان من الطبيعى أن يرد فى الوصية ذكر بعضها مما يوحى بنشاط علمى ملموس فى تلك المجالس الصوفية ، واهتمام بتحصيل كتبه ونسخها ودراستها وجلها كبير الحجم دسم المحتوى متعدد الأجزاء ، ويمكن أن نلقى نظرة من طرف خفى عبر هذا على تنقلات الكتاب بين مشرق البلاد الاسلامية وغربها ، والمناخ الثقافى الذى كان سائدا .

وعليكم بحفظ البردة وعليكم بمحبة شيخها وهو الامام البوصيرى .. وعليكم الاقتداء بالامام العلامة الجزائرى .. وعليكم بمحبة محيي الدين بن عربي .. محيي الدين بن عربي والامام البوصيري والامام الجزائري والامام زروق ركن من أركاننا .

۞ والبردة هى قصيدة الشيخ شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى (ت 696 هـ) وقد عقدنا لها ولمؤلفها مبحثا فى هذا الكتاب تحت عنوان من فضائل البردة المباركة فانظره .

۞ أما الجزائرى فهو الشيخ عمر الراشدى الجزائرى صاحب كتاب ابتسام الغروس ووشى الطروس فى مناقب أحمد ابن عروس ، من كبار رجال الطريقة العروسية وله مؤلفات عديدة فى الفقه وسواه من علوم الاسلام ، ولا أعرف تاريخ وفاته ولكننى أرجح أنها كانت فى أواخر القرن التاسع .

۞ ومحيى الدين بن عربى (ت 638 هـ) هو الشيخ الأكبر أبو بكر محمد بن على الحاتمى وشهرته تغنى عن التعريف به .

۞ والشيخ أحمد زروق (ت 899 هـ) الذى توفى قبل سبعين عاما تقريبا من هذه الوصية ودفن فى مصراته أحد هؤلاء بل تنفرد الوصية بحكم اجتماع سيدى عبد السلام الأسمر به بوصف هياته وتكوينه وسلاحه ومركوبه وأحد أصدقائه مما يجعلها من المراجع النادرة فى هذا الجانب وعليكم بمحبة الشيخ زروق وبزيارته والاقتداء به وهو من أقران شيخنا الدوكالي ببلد مسلاته ويأتي اليه من بلد مصراته على فرس حمراء وبيده رمح وهو رجل قصير جميل الصورة .

وتشمل مجالس التصوف وقتها حتى كتب التخصصات الاسلامية الدقيقة ، ومنها فى قراءات القرآن الكريم : حدثوهم بالقران ورسمه بالحذف والاثبات كالمورد والعمدة وابن جزء .

۞ والعمدة هو كتاب عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ للشيخ السمين أحمد بن يوسف الحلبى (ت 756 هـ)

۞ وابن جزء هو الشيخ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى (ت 741 هـ) له تصانيف عديدة فى علوم القرآن الكريم انتشرت فى حياته وبعدها وان كان كتابه المسمى : التسهيل لعلوم التنزيل هو أكثرها شهرة وربما كان هو مقصد الشيخ دون غيره .

أما التصوف فيجب أن تدرس كتبه الهامة ومراجعه المعتمدة دراسة وافية تسبق ممارسته وعليكم بحفظ البردة .. وبما كتبوه للقوم كاليافعي والمنهاج والشيخ القشيري .

۞ واليافعى هو الصوفى المعروف الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعى (ت 768 هـ) من متصوفة اليمن وكتبه لا زالت من المراجع الصوفية الهامة له مؤلفات عدة فى التصوف .

۞ والمنهاج هو كتاب منهاج العابدين لأبى حامد الغزالى (ت505 هـ)

❁ أما القشيرى فهو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى (ت 465 هـ) وهو أشهر من أن يعرف به وتعتبر الرسالة من أشهر مؤلفاته .

كما أن أشعار كبار صوفية المشرق موجودة بين أيدى متصوفى ليبيا وتذكر مقرونة بالوظيفة الزروقية وينشدون فيها بكلام الدينورى والبردة والزروقية .

❁ الدينورى هو الشيخ ممشاد الدينورى (ت 297 هـ) من أوائل المتصوفة وسند الطريقة العروسية يمر به وللشيخ عبد السلام الأسمر ❁ اهتمام بذكره فى مقطعاته الشعرية.

❁ والزروقية هى مجموعة أذكار تسمى الوظيفة الزروقية نسبة لصاحبها الشيخ أحمد زروق .

❁ أما سيدى أحمد ابن عروس (ت 868 هـ) المنسوبة له الطريقة فهو قدوة فى هذا المجال فقد كان رجلا عالما قوى العارضة والحافظة يحفظ المختصر والرسالة ويتلوهما كما يتلو القرآن وكان يحفظ الحكم وتاج العروس وابن عباد .

❁ المختصر هو مختصر الشيخ أبى الضياء خليل بن اسحاق بن موسى (ت 776 هـ) من أهم مراجع الفقه فى كل المغرب العربى .

❁ والرسالة هى رسالة الشيخ أبى محمد عبد الله بن أبى زيد عبد الرحمن النفزاوى القيروانى (ت 386 هـ) ولا حاجة للتعريف بهما فهما من أشهر مصادر الفقه المالكي حتى يومنا .

❁ أما الحكم وتاج العروس فهى من كتب التصوف عموما والمدرسة الصوفية الشاذلية خصوصا ألفها الشيخ ابن عطاء الله السكندرى (ت 709 هـ) .

❁ ويقصد بابن عباد شرح ابن عباد النفرى الرندى (ت 792 هـ) على حكم ابن عطاء الله السكندرى.

واسلوب التعليم الذى كان سائدا فى الزوايا وكانت هى المدارس والجامعات وقتها يقارب نظام الحصص الذى نتعامل به فى المدارس الآن مع اختلاف فى مدة الحصة واسمها اذ تسمى دولة وكان الشيخ عبد الواحد الدوكالى (ت 970 هـ) يعطى بزاويته فى مسلاته سبع حصص فى اليوم كان يقرى الناس فى اليوم سبع دولات .

وكان هناك تواصل مع ثقافات أوروبا اذ عرف التاريخ الأعجمى وهو الذى يؤرخ بوفاة سيدنا عيسى عليه السلام ومعرفة العام العربي من العام العجمي ، بل وعرفت بعض المصنوعات الغربية المتطورة كالمدافع وان كانت معرفتها ووجودها لم تلغ استعمال الأسلحة التقليدية كالقوس والسهم أنا عبد السلام الأسمر ومدفعي معمر وقوسي موتر .

الفرق الاسلامية :

ولا يجوز لفقير أن يصحب أهل الأهواء وأهل البدع كالمعتزلة .. اذا كان فى ذلك العصر والمصر لفرقة المعتزلة فى ليبيا وجود وهى من فرق الاسلام التى اهتمت بتقديم العقل على النقل ولها دور محمود فى محاربة الفلاسفة والمتكلمين أنشأها واصل بن عطاء (ت 131 هـ) وعمر بن عبيد (ت 143 هـ) فى البصرة بالعراق ومنها انتشرت واشتهرت فى بلاد الاسلام ، بل كان بالبلاد من يشتغل بالفلسفة ويمارسها ، ومن مهر علم الفلك وان كان صحبتهم لا تحمد خوف أن تتسرب شكوكهم وأساليبهم العقلية الجافة وألفاظهم عن العلة الأولى والهيولى والغاية وغيرها

الى أذهان العوام فتفسدها لاتعتقدوا في كلام الفلاسفة والنجامين .

وكان من الطبيعى فى ظل وجود فرق اسلامية متعـددة أن ينكر بعضها على البعض الأخر ، وحيث أن التصوف كان ولا زال أقرب ما يكون للناس من تلك الفرق التى تحتاج دراسة مركزة وتخصص قد يطول سنين عدة ومقدار من الترف واليسر يمكن صاحبه من التفرغ للعلم صار الأكثر انتشارا والأقرب فهما مما جعله هدفا لستة أنواع من الهجوم تشنها عليه الفرق المنكرة ، والاسلوب الأمثل للتعامل مع هؤلاء هو :

ولا تشتغلوا بأهل الاعتراضات والانكارات والتشنيعات والتعنيت والتغليظ والتشديد .

التصدي للتهويد :

الموضوع أكبر بكثير مما قد يبدو اذ كانت فى زليتن جالية يهودية كبيرة ، ولم يكن من سبيل لوقف زحفها وكبح سعيها للسيطرة على المدينة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا واستقطاب مصالحها الى يديها مستغلة ظروف البلاد وأهلها وايقاف قدراتهم المتزايدة الا بتحذير التائب أى المريد من مغبة الافراط فى مجاملتهم المؤدية الى ما لا يحمد عقباه . اخواني ولا يجوز للتائب أن يعبث مع اليهود أو يضحك معهم أو يتبسم في وجوههم .

وصدقت فراسة الشيخ ﷺ اذ تنامت قوة يهود زليتن ونفوذهم الى أن تمكنوا بعد ثلاثة قرون تقريبا من وصية الشيخ من بناء كنيسة يهودية افتتحوها سنة 1867م تحت أنغام موسيقى الاحتفالات تجوب أحياء المدينة ومظاهر الزينة والافراح فى كل البلاد أحرقت بعد اسبوع من افتتاحها على يد الأخوين منصور وعلى القدارى البرهمى .

النساء فى وصية الشيخ :

استعمل الشيخ فى وصيته كلمة نسوان اخواني فخذوا حذركم من النسوان ومخالطتهن . وهى كلمة عربية صحيحة وقد كسد استعمالها الأن واستبدلت بلفظ أكثر رقة هو النساء ، ولا زلنا نسمى مجلسهن بالميعاد ويبدو أنها تسمية قديمة ايضا اذ قال ﷺ : اخواني اياكم والجلوس في ميعادهن .. والذكر معهن ، الذكر معهن من أكبر الفتنة ، ونستفيد من هذا انهن كن يقمن بحلقات الذكر الخاصة بهن فى تلك الايام الخالية .

كما لا يجوز بحال مزاحمة النساء والاحتكاك بهن بل الواجب افساح الطريق حتى يمرن فى صون وعفاف فزاحموا الجمال الجرب المطليات بالقطران ولا تزاحموا النسوة في الطريق.

وبنات حواء جبلن اينما وحيثما وجدن على حب التزين والتميز على أقرانهن فى مظاهر الحسن وأساليب التجمل والدلال حسب المتاح المتعارف عليه من أدوات الزينة ، ومنها فى ذلك العصر والمصر واياكم والضفر المعصوب بالخيوط ونحوها الا الخيط والخيطين واياكم وكثرة القطاطي والدلايل والعقايص والملازيم والتمايم والتيطان التي من النحاس أو الفضة وهو شيء كالبلح والحزاريط .

والضفر هو غديرة المرأة وقد تصلها بخيوط من لون شعرها ليبدو أغزر وأطول ، وتعلق على رأسها القطاطي وفى رقبتها الدلايل وترجل شعرها بتسريحة تسمى العقص ولا بأس ببعض التمائم تعلقها لتثبت للناظرين أنها ممن يخاف عليها الحسد لما حازته من جمال وحسن ، كما قد تعلق قطعا من معدن النحاس ان كانت فقيرة أو الفضة ان كانت ميسورة الحال أو الحزاريط وهى المشغولات اللامعة الأخرى على ملابسها وأحزمتها .

الأفـــراح :

للافراح مظاهرها المميزة فى كل عصر ، والنساء عندنا فى مجتمعنا لازلن قطب رحى هذه المناسبات السعيدة بما يبدينه من مظاهر السرور والحبور واعداد الطعام والغناء والجلبة ولبس الثياب الخاصة بهذه المناسبات ، ومظاهر الأعراس وما بها من أغانى وألات موسيقية كانت تتمثل وقتها فى : الغناء والزغاريت والصراخ والرقص والمزامير والرباب والشبابة والزكرة والفحل والطبل ، ويمكن أن نؤرخ ايضا لفن الزغاريد فى ليبيا الذى وجد فيها بلا شك قبل ذلك بكثير، وأكبر منه استماع زغاريتهن .. واياكن والزغاريت والغناء ورفع الصوت كله ولو بذكر الله .

المـــآتم :

أما الماتم فيفعل بها : قطع الدخان من المحل والحزن وترك الطيب وترك اللباس الحسن وضرب الخدود وتجريحها بالاصابع والأظفار وخبط الصدور وتخبيشهم والنياحة والندا والنديب ونقر الطبلة ويسمونه أهل بلدنا بالطار ولا يجوز الحلق ولا الدلق ولا السلق ولا الزلق وتقريض الازار وتكشيح الرمل والرماد ولبس الهدوم وتشريك الأثواب والسراويل وتقطيع بدود الخيل وحلق الشعر من الرجال والنساء والخيل .

ولبيان بعض مايحتاج من هذه الألفاظ :
فالخبش : هو جرح جلد الخدين بالأظافر ، وقطع الدخان : هو الامتناع عن الطهى ، والنديب : هو النياحة وتعديد ماثر المتوفى ، والدلق : سكب المخزون من السوائل كالزيت والخل ، والسلق : تجريح سائر الوجه ، والزلق : حلق الرأس بالموسى ، وتقريض

الازار : تقطيعه ، وتكشيح الرمل والرماد : جعلها على الهامة ، وبدود الخيل : هى أحزامة السرج على صدورها تقطع دلالة على شدة الحزن .

واياكن والصراخ والنواح والنديب والترجيع بالبكاء والتجعجع بالنداء .. واياكن والحزن على الميت وترك اللباس الحسنة والطيب والتكحيل بالاثمد واياكن وحلق الرأس وحرقه بالنار اذا مات لكن أحد.

أدواء ودواء :

قد يصاب المرء بمرض صغيرا أو كبيرا رجلا أم امرأة ويوجد دائما الطبيب الذى يشخص العلة ويصف الدواء ، وربما كان الدواء عشبة تنبت فى بطن واد أو عقارا يحضر ويمزج ، ولكن هناك علاج اخر أفضل وأجدى أقره شرع الاسلام وتوارثته الأمة وهو العلاج بالرقى ، ويصف الشيخ فى وصيته رقية لمجموعة من الأمراض والذى نتناوله هنا هو أسماء الأمراض أما الرقية نفسها فمذكورة فى الوصية والرجوع اليها ميسور لمن أراد التوسع، فيقول :
من كتبهم وعلقهم على من به ريح الأرض شفاه الله .. من قرأهم على معيان لم يؤثر فى الناس ، من علقهم على من به القرينة فيبرأ .. وَمن كتبهم في كاغد وبخره بالجاوي.

وريح الأرض : هو أحد صنوف مس الجان ، والمعيان : ذلك الذى تصيب عينه غيره بأذى ، والقرينة : هى الصرع ، والجاوى : أحد أنواع البخور المشهورة .

المهن والحرف :

أنــواع الأعمال فى الحاضرة محدودة جدا فلا تاخذوا منها – الدنيا – الا ما يسد الضرورة وما يسدكم ويكفى عيالكم والسبب فيها من بيع أو شراء أو حرث أو حصاد أو عمارة وتجدويل فلا بأس عليه . ويبدو أن مهنة الرعى وهى المهنة الليبية العريقة لم تكن أحوالها بخير وقتها والا ذكرت بين هذه الأعمال .

ومع هذا هناك بعض الأغنياء المرفهين الذين مارسوا أعمالا ظهرت آثار مكاسبها فى حياتهم ولا تفعلوا ما يفعله الجهال من السروج المرصعات بالذهب والفضة ومن الركب المغشاة والمموهات ، وربما صاحب هذا ممارسة عادات ضارة يتعلمها الموسر دون ذلك القاصر عن تحصيل لقمة العيش كالتدخين والسعوط اذ كانا معروفين فى ليبيا حاضرين فى الوصية ايضا وبنفس اسميهما الآن اخواني واياكم وشرب الدخان ليس منا من شرب الدخان من فم أو أنف .

اللباس والطيب :

أنواع اللباس وألوانه مذكورة فى الوصية بدقة وان كان بعض هذه الألوان غير معروف الآن كالأشخم والولغ واياكم ولباس الأسود والأحمر .. اتركوا اللباس الأسود كله والأصهب والأشقر والأشخم والولغ .. والأخضر لا بأس به دون غيره .

والشنة الحمراء التى نلبسها الآن فى شرق ليبيا كانت تلبس وتسمى شاشية وهو الاسم الذى لا زالت تعرف به فى بعض مناطق غرب ليبيا وتونس ، ولون النعل قد يكون أحمر أيضا الا الأحمر على الرأس كالشاشية وكذلك الأحمر على الرجل فلا مضرة فيه .

وان اتسخت الثياب فوسائل تنظيفها هى : أن تغسلوه وتبيضوه وتنظفوه بالجبس أو الغاسول أو الصابون أو الشب الأبيض .

ولا بأس ببعض الطيب ان وجد وهو : الزبد والمسك وجميع الرائحة الفائحة .. وأدخلوها بالروائح الطيبة كالزبد والقمارى والمسك والأنواع الفائحة كالياسمين أو ماء الزهر أو ماء الورد . ولا ينبغى القدوم على مجالس الذكر وتلاوة الأوراد الا برائحة طيبة مما ذكر أو على الأقل عدم تناول ماخبثت رائحته ومن آداب الحضرة ترك الكراث والقازول والثوم والبصل ، وهى منتوجات زراعية ليبية معروفة تمتاز برائحة نفاذة مميزة .

وأنواع اللباس والثياب هى : الشال والقفطان والسدرية لأهل المدائن ، ولابد من لباس الأزاديد – يقصد الجرد – فوقهم أى القفاطين والصدارى .. ولا بأس بلبس البشماق الأحمر والجبيرة الحمراء أو المنطقة والحزام والكميخت والأخفاف والأمسات .. فالبسوا الأزاديد الفاخرة والثياب الفائقات والشواشى الباهيات والعمايم الحسنات والبشاميق الباهرات والامسات الغاليات والأخفاف المعكرشات .

ومصراته تشتهر بتصنيع بعض أنواع الملابس الفاخرة واياكم ولباس الأكحل كله كالأزر المرقومات من أطرافهن بالأحمر والأصفر وهي صفة يلبسونها أهل مصراته وبعض أولاد غيث .

ويفضل الشيخ على كل حال لمريده أن يخشوشن ولا يبالغ فى الترفه أنا مع الخشين منكم .

وقد ينغص على الانسان وجود قمل وبراغيث فى ثيابه ثمينة كانت أم مبتذلة لذا فقد كان تبادل تقلية الملابس ظاهرة طبيعية وربما قام بها كبار العلماء والوجهاء حضا لغيرهم وتربية لهم كى لا يأنف المسلم من مزاولة هذا العمل الهام ، وبلغ حسن الخلق

بسيدى فتح الله بو راس أن كان يجلس مع الفقراء والمعوزين ويفلي لهم ثيابهم .

من مظاهر الفساد فى المجتمع :

ومن الموبقات العائدة بالضرر الشديد على الفرد والمجتمع ما تقوم به فئة من الحذاق من أساليب ووسائل غير شريفة لكسب المال والتقرب الى الحكام والمسؤولين .

اخواني احفظوا أنفسكم ما استطعتم من الدخول في المضرة والتزاويق واللوشان والحيلات والتزاهيق والكفريات والفجور والنطور والبروع والتخريف والتشدق والدنس والناموس وطرح الأشباك وطرح الالات والقرب الى أرباب الدولة واظهار الأصيات غير الحقيقية .

والتزاويق : هى تحسين الباطل ، واللوشان : الالتواء ، والحيلات والتزاهيق : احاكة الدسائس والمكائد التى توقع بالخصوم ، والكفريات والفجور والنطور: أساليب من لا يخشى الله فى الوصول الى هدفه ، والبروع والتخريف والتشدق : الكلام الذى لايجر نفعا ولا يورث مصلحة حتى لقائله ، والدنس : اتباع غير الأساليب الطاهرة فى الحياة ، وطرح الأشباك والالات والقرب : ضروب من التملق والتقرب للمسؤولين ، واظهار الأصيات : تحسين سمعة الظلمة والفجرة .

والدارس للتاريخ الليبى يعرف أن الحاكم باستثناء شواذ قلة لم يكن قط سوى لص يستغل منصبه ونفوذه للاستحواذ على أملاك الرعية ، هذا الزمان زمان فساد وخيانة ولا خير فيه وهو أقبح مما مضي من الأزمنة منذ علمنا وأوجدنا الله الي الأن .

وأهم المسؤولين فى المجتمع أربعة ، الوالى : الذى يسمى نفسه داخل البلاد بالسلطان فى محاولة للتأثير الاعلامى ، وامام الخليفة فى الاستانه بالعبد أو الخادم أو الوالى ، وامام القناصل الأجانب بالقاب يصوغها مركزه المالى وسيطرته على الأحداث ، وربما تنتهى أحيانا بالقاب سوقية مبتذلة . والقادة : هم رؤوساء الجند وضباط العسكر وهم انكشارية ومرتزقة لا يتورعون عن سفك الدماء وانتهاك الحرمات وسرقة الأموال . والوزراء : هم بطانة الوالى ومحل استشارته وهم بطانة سوء غالبا . والحكام : هم حكام الأقاليم والمدن وعليهم توفير المبالغ المطلوبة من الضرائب والأعشار اضافة لتكوين ثروات ضخمة لأنفسهم كل هذا على حساب الرعية الجائعة ، ومخالطتهم لا خير فيها اخواني واياكم وخلطة السلاطين والقياد والوزراء والحكام فلا تخالطوهم بل لا تقربوا الجميع ولا تقفوا عليهم ولا علي منازلهم ولا علي مجالسهم الا لضرورة واضحة ومشقة فادحة .

والرشوة : وكانت تسمى ايضا الشحمة ، ولا زلنا نقول باللسان العامى الى الأن فلان يشحم أى يتوصل من المظاهر السلبية التى عرفت تلك الفترة اخواني واياكم وأخذ البراطيل والشحمة .

الخوارق والكرامات :

ويبدو ان الكرامات واظهار الخوارق كانت أمرا معروفا سبق وجودها الطرق الصوفية الموجودة فى ليبيا كالعيساوية والعروسية ، ليس منا من ينقل الثعابين ولا من ياكل العقارب والسمومات .

وآفة الدفوف والتوصل بواسطتها الى اظهار النسك والصلاح لجمع الأموال هي الأخرى سابقة للطرق الصوفية في ليبيا وان كانت تسربت لها بعد ، ليس منا من يطلب بالطار ويرقص في أبواب الديار الى أن تجمع عليه النساء والصغار فمن فعل شيئا من ذلك فليس منا ولا من أهل طريقتنا .. والصواب أن يضرب بالعصي ويمزق بنديره ، ومزمار القرب المسمى عندنا بالزكرة قديم ايضا الملاهي المحرمة فمنها الزكرة .

ظاهرة الشعوذة:

الشعوذة والسحرمنتشرة في المجتمع ، وكل نوع منها له اسمه المميز في لغة المجتمع المحلية ، وهي طريقة غير مستحسنة لكسب المال .

اخواني واياكم والسحر فانه كفر وردة ، وكذلك عقد الرجل عن امرأته ، واستعمال الفراق بين المرأة وزوجها ، وتحرم التجرية والتماريض والمحبة في غير طاعة الله ، اخواني واياكم واقلاب نظر العيون كالشعوذة والحنقطرات والتشلويش والجذوات ، ولا يجوز لكم النظر اليهم لأنهم لهو ويذهبون العقول ، اخواني ومن الباطل الخط والتقازة والكهانة والجدول والطلاسم والعزايم المعجمات التي لا تفقهونها

وعقد الرجل عن زوجه : هو أن يسحر فيعجز عن وطئها ، والتجرية للمرأة كالعقد للرجل : وهي ادامة دم الحيض على المرأة فيعجز زوجها عن اتيانها ، والتماريض : ما يجعل للانسان من سحر فيصاب بالأمراض في بدنه ، والمحبة : هي رقى تميل القلوب ، واقلاب النظر : ما يوهم به المشعوذُ الناظرَ من اخراجه لشيء من أنفه أو بطنه ، والحنقطرات : تمائم تعلق لغايات ،

والتشلويش والجذوات : كلمات لا زلنا نستعملها حتى اليوم للدلالة على أفعال السحر ، والخط : هو خط الرمل المعروف ، والتقازة : طبق به حجارة وقطع معدنية وزجاجية وفحم وما إليه ينظر فيه المتكهن فيخبر بمغيبات ، والكهانة والجدول : مثلها ، والطلاسم والعزايم المعجمات : هي تلك الرقى بأحرف وكلمات غير مفهومة.

ولاتفعلوا ايضا ما يضمر لكم به الكاهنون بكشف الضمير والتبريج والقرعة وخط الرمل والتقازة فنأمركم بقراءتها ولا نأمركم بفعلها أو اعتقادها .

اللفظ الفصيح :

وردت في الوصية ألفاظ عربية فصيحة تكاد تكون مقصورة اليوم على ليبيا دون غيرها من البلاد العربية ، ومنها ما هو مطروق خارجها ، ومنها ما لا زلنا نستعمله حتى اليوم في أحاديثنا ومخاطباتنا ومنها ما اندثر وعفى عليه الزمن ويفيد هذا المبحث في التاريخ لها ، ومن هذه الألفاظ :

۞ العفس : فصيحة وتعني داسه برجله ولا تعفسوا على قبورهم .

۞ الجذب : وهو حال صوفي كريم ينتاب السالك ، من رقص فيها بغير جذب ، وتستعمل في جل الدول الاسلامية بنفس اللفظ تقريبا .

۞ ظرافة : وتعني في اللغة العربية الكياسة واللطف فاخرجوه بينكم بأدب وظرافة .

۞ ويطلق في غرب ليبيا الآن على منشد المدائح والأذكار والموالد في الحلق الصوفية والزوايا وحتى على المغنيات في الأعراس والمناسبات لفظ الزمزام وتعني في اللغة : سماع الصوت عن بعد ، وقد ورد ذكره في الوصية النقيب هو الزمزام المنشد لكلامنا .

اللفظ العامي

ومما ينبغي الاستفادة منه في هذه الدراسة ايضا ذلك اللفظ العامي الذي تسلل الى لغتنا العربية وأساليبها الراقية فحط من قدرها ونزل بها عن سموها ، اذ وردت في هذه الوصية بعض عامية لا زلنا نستعملها الى اليوم منها :

۞ الفاهق : وهو الفجوة وحفظ الحلقة هو الفاهق الذي هو في دائرة الحضرة .

۞ والهرام : الذي لا يحب أن يشاركه في طعامه أحد ، والضجام : الذي لا صبر له الطريق طويلة لا يدركها هرام ولا ضجام .

۞ والفركسة : هي تمام التقليب والفك والنظر من ثم نقلب في مريدي ونفركسه سبع مرات .

۞ فأظهره الله على ما في ضميرها وخاطرها على شبح العين ، ومصطلح شبح العين الذي يعني تيسر الرؤية بالعين المجردة لا يستعمل عندنا في شرق ليبيا ولكنني سمعته كثيرا في غربها .

عتاقة من النار

عن أبي يزيد القرطبي ﷺ قال :

سمعت في بعض الآثار أن من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك على رجاء بركة الوعد ، فعملت منها لأهلي وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسي ، وكان اذ ذاك في بيت معنا شاب يقال انه يكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار ، وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه ، وكان في قلبي منه شيء ، فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فبينما نحن